**حنين المشتاق الحائر إلى رحلة المناسك والمشاعر وزيارة الشفيع المشفَّع في اليوم الآخِر صلى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه النجوم الزواهر**

**2023-06-09**

الحمد لله الذي تفضَّل على خلقِه بالمواسِم السانِحة، وأغدقَ مكارِمَه عليهم غاديةً ورائِحةً، فالمُوفَّقُ من تاجرَ مع ربِّه؛ فهي والله التجارةُ الرابِحة. إسْتَدْعَى مَنْ شَاءَ إِلَى زِيَارَةِ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ، وَحَرَّكَ عَزْمَ الْقَاصِدِ وَأَعَانَهُ بِالتَّوْفِيقِ، وَسَهَّلَ لِلسَّالِكِينَ إِلَى حَرَمِهِ مُسْتَوْعَرَ الطَّرِيقِ، وَوَعَدَ الطَّائِعِينَ الْقَبُولَ وَهُوَ بِإِنْجَازِ الْوَعْدِ خَلِيقٌ، وَأَزْعَجَ قَاصِدِيهِ عَنْ مَسَاكِنِهِمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ بِالتَّشْوِيقِ، فَرَضُوا مِنْ أَهْلِهِمْ وَفَرِيقِهِمْ بِالْبِعَادِ وَالتَّفْرِيقِ، فَأَقْبَلُوا مِنْ كُلِّ بَلَدٍ سَحِيقٍ، ما بَيْنَ مَاشٍ عَلَى قَدَمَيْهِ اسْتَسْعَاهُ يَقِينُ الصِّدِّيقِ، ((وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)). فسبحانه من إله شرَّف مكةَ ومِنَى والمُزدلفَة وعرفات، وجعلَ فيهنَّ وفادَة ضيفِه رحمةً ومغفرةً وإجابةً للدعوات،

مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ مَأْوَى * الرُّسْلِ حَيْثُ الأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ

حَيْثُ فَرْضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ وَالْحَلْـ*ــقِ وَرَمْيِ الْجِمَارِ وَالإِهْدَاءُ

حَبَّذَا حَبَّذَا مَعَاهِدُ مِنْهَا * لَمْ يُغَيِّرْ آيَاتِهِنَّ الْبَلاَءُ

حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ * وَمَقَامٌ فِيهِ الْمُقَامُ تَلاَءُ

فنسأله سبحانه أن يرزقنا الأدب في حَرَمه. ويوفّقنا لامتثال أوامره واجتناب محارمه، اللهم آمين. وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، جعل العبادة أنواعا وأصنافا. وضاعف على القليل منها فضلا على الكثير أضعافا. فمنها العبادات البدنيّة كالصّوم والصّلاة. ومنها العبادات الماليّة كالصّدقات والزّكاة. ومنها ما هو برزخٌ بين الأمريْن. كالعبادات التي لا

تكون إلاّ في الحرميْن الشريفيْن. من الحجّ والعمرة. وزيارة سيّدِ الثّقليْن. سيّدِنا ومولانا محمّد جدّ الحسنَيْن. صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه وعلى آله الطّيّبين الطاهرين. وصحابته الأكرمين. كلّ ذلك عناية من الله تعالى بهذه الأمّة الوسطى. وتفنّن في إكرامهم وإتحافهم بمزيد العطاء. وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. اصطفاه ربه على الخلائق وشرّفه. وبالرأفة والرحمة وصفه. فكان خير من طاف بالبيت العتيق ووقف بعرفة. ودعا الله تعالى بالمشعر الحرام بعد أن بات بالمزدلفة. فصارت المشاعر ببركته معظّمة مشرّفة .

إجماع الهدى في حبّ أحمد أُدرجا * فما لي سواه في الشدائد مُلتجا

إذا ضاق بي أمرٌ وكانت وسيلتي * إلى الله مدحي للنبيّ تفرّجا

ولم أر في نيْل المنى كتوسّلٍ * به سيّما إن غلّب السائلُ الرجا

فيا ربّ فاجعل لي بجاه محمّدٍ * حبيبِك من كلّ الشّدائد مخرجا

ويسّر إلى البيت العتيق وِفادةً * لعبدك لا يشكو كَلالا ولا وَجا

وأخرى إلى خير الورى وإقامةً * هناك فما أحلى المُقام وأبهجا

فيا طيب ذاك العيش لو نلته فما * أشدّ إذًا فقري إليه وأحوجا

وصلّ وسلّم يا إلاهي عليه ما * غدا قاطعا في سيره البدر أبرجا

صلاة تفوق الحصر منك أُعدّها * لصالح أعمالي لبابك معرجا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد. خير مَنْ حجَّ البيت الحرامَ واتّخذ التّقوى زادًا، وعلى آله أطهر الورَى سِيَرًا وأعرقِهم أمجادًا، وصحابته أبرِّ الأمّة قلوبًا وأشدِّهم تآلفًا ووِدادًا، والتابعين ومَن تبعهم بإحسان وترسَّم خطاهم بصِدْقٍ وإخلاصٍ يرجو صلاحًا ورشادًا، وسلّم تسليمًا كثيرًا. يزداد ازديادًا. صلاة تُصلح لنا بها المال والأهل والأولادا. وتدفع بها عنّا

المصائب والأنكادا. وتبلّغنا بها المقاصد والمرادا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ في نفوس المحبّين شوقٌ عارِم، وصَبابة جارِفة، يعجز اللسان إنْ أراد وصْفَها، ويحتار البيان إذا تقحّم دَرْبَها، حين يحدُو قاصدِي البيت الحرام حادِيُ الركب. ويصرخُ في أذانهم أنْ هلمّوا، وإلى حرم الله أقبِلوا، ونحو بيت الله شُدُّو، فما أن يبلغ صداه أسماعهم، حتى تتسابق عَباراتُهم عِبراتِهم، وتغلب عيونُهم دمعاتِهم. تجري بهم قلوبُهم قبل أن تسيرَ بهم أقدامُهم. يأتون ((مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ))، لا يألون على شيء سواء أنْ يُشرِّفهم الله برؤية بيته، ويَنعمون بزيارة كعبته، ويُبلِّغهم مقاصدَهم. ((لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ. وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ)). لا إله إلا الله. ما أعظمها من رحلة في حياتهم. رحلةُ الإيمان وإن تحرّكت الأبدان. رحلةُ القلوب وإن سارت الأجساد، تفيض مشاعرُهم فلا يجدون إلا الدموع تؤنّس لوْعة حنينِهم. فلا تروي ظمأ شوقهم ولهفِهِم، يترقَّبون في كل سهْل ووادي، وبين وجوه الرائح الغادي. إلى ذكرى الخُلّة الإبراهيمية، وموطن الدعوة المحمدية، ديار الأحباب، ومنازل الصالحين وذوي الألباب، ديار الهدى، ومهبط الوحي، وموضع خطو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ مَأْوَى * الرُّسْلِ حَيْثُ الأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ

حَيْثُ فَرْضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ والْحَــ*ـلـقِ وَرَمْـيِ الْجِمَارِ وَالإِهْدَاءُ

حَرَمٌ آمِنٌ وَبَـيْتٌ حَرَامٌ * وَمَـقَامٌ فِيهِ الْمُقَامُ تَلاَءُ

أيّها المسلمون. إنها المشاهد التي تأخذ بمجامع القلوب والعقول. فما أعظمها وأروعها. وأبهاها وأهناها. وأسماها وأسناها. وأجملها وأحلاها. كيف لا نشتاق أو نحنّ إلى الحج وهو إلى بيت الله. الذي طهّره وطيّبه لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ. وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. قال تعالى في سورة الحج: ((وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)). كيف لا نشتاق أو نحنّ إلى بيت الله. وهو مثاب الناس

وأمنهم. قال تعالى في سورة البقرة: ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)). كيف لا نشتاق أو نحنّ إلى بيت الله. وهو من شعائر الله. قال تعالى في سورة البقرة: ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)). كيف لا نشتاق أو نحنّ إلى بيت الله. وبه قيام أمر الناس في معاشهم ومعادهم. قال تعالى في سورة المائدة: ((جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)). كيف لا نشتاق أو نحنّ إلى بيت الله. وهو البيت العتيق قال تعالى في سورة الحج: ((ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)). أيّها المسلمون. أيّها المسلم المشتاق. فهل شممتَ عبيراً أزكى من غبار المحرمين؟ هل رأيتَ لباساً قط أجْملُ وأجَلُّ من لباس الحُجَاجِ والمعتمرين؟ هل رأيتَ رؤوساً أعزُّ وأكرمُ من رؤوس المحلّقين والمقصّرين؟ هل مرّ بك رَكْبٌ أشرف من رَكْبِ الطائفين؟ هل هزَّك نَغَمٌ أروع من تلبية الملبّين. وأنين التائبين، وتأوّه الخاشعين. ومناجاة المنكسرين؟ جموعٌ مُلبية. وأعينٌ باكية. وعبرات ساكبة. وألسنة ذاكرة. وقلوب خاشعة. ونفوس خاضعة. وأيد داعية. وجباه ساجدة. تُفرح كل مؤمن. وتَغيض كل عدوّ وكافر. بتلك النفوس المؤمنة. الزمان يزدهر. والأيام تحتفل. والأرض في طرب. والأرجاء تتقّد. إنه حنين الأفئدة وشوق القلوب وشغف النفوس؛ ترنوا إليه الأبصار. وتمتدّ إليه الأعناق، تتعلّق به الخواطر. وتلهج به الأفكار. أيّها المسلمون. إنها مكة. إنها بكة، إنها أمّ القرى، البلد الأمين ومهبط الوحي. كيف لا تحنّ إليه الأفئدة وهو بلد الله وبلد رسول الله، بلد تضّاعف فيه الحسنات وتعظم فيه السيّئات، بلد يحرم فيه القتال، بلد مبارك لا يدخله الدجّال، بلد يحرم صيده وتنفيره وقطع أشجاره، كيف لا تحن إليه الأفئدة؟ والقلوب تتوجّه إليها كل يوم مرات ومرات؟! بل حتى بعد الموت. كيف لا وهي أمّ القرى. فلها السيادة

والريادة؟! بلد اختاره والله واصطفاه وأقسم به فقال: ((وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)). أيّها المسلمون. مكة قبلة الدنيا، يتعيّن على كل مَن أراد زيارتها أن يعرف قدرها، وأن يتهيّأ لها بالرُّوح قبل البدن، ويستعدّ لها في وُجدان، إذ أنّ الرحلة إليها هي رحلة أرواح، قبل أن تكون رحلة أشباح، إنّ الحاج العارف بحق الله، وبحرمة البيت. هو الذي يتملّكه الوجل والخوف منذ أن يعرف أنّه سيقصد بيت الله الحرام، فتراه مترقِّبًا خائفًا وجِلاً؛ فقد حجّ الإمام علي زَيْن العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام أمير المؤمنين سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين فلمّا أحرم، واستوت به راحلته، اصفرّ لونه، وارتعدت مفاصله، ولم يستطع أن يلبّي، فقيل له: ما لك لا تلبّي؟ فقال: أخشى أن يقال لي: لا لبّيْك ولا سعديْك، فلمّا لبّى أُغشي عليه. ولمّا حجّ حفيده الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، فأراد أن يلبّي، تغيّر وجهه، فقيل له: ما لك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أريد أن ألبّي فأخاف أن أسمع غير الجواب. وقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ: كُنْتُ مَعَ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ حِينَ أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ، فَلَمْ يُلَبِّ حَتَّى سِرْنَا مِيلاً، ثُمَّ غُشِّيَ عَلَيْهِ. فَأَفَاقَ، وَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، أَوْحَى اللَّهُ تعالى إِلَى مُوسَى عليه السلام: مُرْ ظَلَمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا يَذْكُرُونِي، فَإِنِّي أَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَنِي مِنْهُمْ بِاللَّعْنَةِ، وَيْحَكَ يَا أَحْمَدُ، بَلَغَنِيَ أَنَّ مَنْ حَجَّ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ. أيْ من غير الحلال. ثُمَّ لَبَّى، قَالَ اللَّهُ عزّ وجلّ: لا لَبَّيْكَ وَلا سَعْدَيْكَ، حَتَّى تَرُدَّ مَا فِي يَدَيْكَ، فَمَا آمَنُ أَنْ يُقَالَ لَنَا ذَلِكَ. هذا، وكما أنّ للحج آدابا ظاهرة، فإنّ له آدابا باطنة دقيقة، وأسرارا بديعة، من راعها ووقف عندها انفتحت له أبواب تذوّق حلاوة الحج. أيّها المسلمون. فَمُنْذُ أَنْ يَنْزِعَ الحَاجُّ مَلابِسَهُ المُعتَادَةَ فَهُوَ يَخْلَعُ مَعَهَا تَفْكِيرَهُ المَحْدُودَ، وَيَلْبَسُ لِبَاسَ التَّسلِيمِ لِلوَاحِدِ المَعْبُودِ، وَلِهَذَا فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقُولُ: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ لا شَرِيكَ لَكَ) مُعْلِنًا بِهَذِهِ التَّلْبِيَةِ تَمَامَ تَسْلِيمِهِ لِمَنْ آمَنَ بِهِ رَبًّا، وَمُتَّبِعًا لِرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم القَائِلِ:((خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ)). وفي الطواف بالبيت. تشبّه بالملائكة

المقرّبين الحافّين حول العرش، الطائفين حوله، وما القصد طواف الجسم فحسب، بل طواف القلب بذِكر الرب. اِلْتِمَاسًا لِرَحْمَتِهِ، وَطَلَبًا لِرِضْوَانِهِ وَمَثُوبَتِهِ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَروَةِ هُوَ تَذْكِيرٌ لِلسَّاعِي بِأَمْرٍ هُوَ فِي أَمَسِّ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الإعتِمَادُ عَلَى اللهِ وَحُسْنُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، لَقَدْ تَوكَّلَتِ السيِّدَةُ هَاجَرُ عَلَى اللهِ وَالتَمَسَتِ الأَسْبَابَ، فَأَغَاثَهَا اللهُ وَوَلَدَهَا بِمَاءٍ مَعِينٍ، أَرْوَاهُمَا بَلْ أَرْوَى غَيْرَهُمَا مِنَ الآمِّينَ لِهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ، إنّه ماء زمزم الميمون المبارك، النبع الطاهر، الدواء الشافي؛ فَزَمْزَمُ الآنَ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ لِسَانُ حَالِهَا يَقُولُ: مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوكُّلِهِ كَانَ حَسْبَهُ وَكَافِيَهُ، وَحافِظَهُ وَحَامِيَهُ، وليعرف الناس أنّ الله تعالى لا ينسى أولياءه، وأنّ الفرج بعد الضِّيق، وأنّ مع العسر يسراً. قال تعالى في سورة الطلاق:((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ. وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ. إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرَه. قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا))، أيّها المسلمون. وفي الوقوف بعرفة، ورؤية ازدحام الخلق، وارتفاع الأصوات باختلاف اللغات، يتذكَّر المؤمن اجتماع الأمم في عرصات القيامة، فيستشعر العبد المشهد العظيم، والحشر العظيم، والهول العظيم في يوم القيامة. ((يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)). وتحيّرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرّدّ والقَبول، إنّه مشهدٌ من المشاهد التي تحيي القلوب الميّتة، وتوقظ العقول الغافلة، وتحيي الأنفس التي كثر عليها الرّان. فانشغلت بالدنيا. وضربت عليها الغفلة. وفي تذكّر ذلك. إلزام القلب الضراعة والإبتهال إلى الله عزّ وجلّ، ورجاء الحشر في زمرة الفائزين المرحومين، وتحقيق الرجاء بالإجابة، فالموقف شريف، والرحمة إنّما تصل من حضرة الجلال إلى كافّة الخلق، بواسطة القلوب النقية. ولا ينفكّ الموقف عن طبقات من الصالحين، وأرباب القلوب، فإذا اجتمعت هممُهم، وتجرّدت للضراعة والإبتهال قلوبُهم، وارتفعت إلى الله سبحانه أيديَهُم، وامتدّت إليه أعناقُهم، وشخصت نحو السماء أبصارُهم. مجتمعين بهمّة واحدة. على طلب الرحمة، فلا تظنّنّ أنّه يُخيِّب أملَهم، ويُضيِّع سعيَهم، ويدّخر عنهم رحمةً

تغمُرُهم. وفي رمي الجمار انقياد للأمر، وإظهار للرّقّ والعبودية، وقصْد رمي وجه الشيطان، وقَصْم ظهْره. إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثال أمر الله سبحانه وتعالى؛ تعظيمًا له بمجرَّد الأمر. من غير حظّ للنفس والعقل فيه. وفي زيارة المدينة المنورة ومشاهدتها. تذكَّر أنّها البلدة التي اختارها الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وسلم، وجعل إليها هجرتَه، وأنّها دارُه التي شرع فيها فرائضَ ربِّه عزّ وجلّ، وسننَه، وجاهد عدوَّه، وأظهر بها دينَه إلى أن توفّاه الله عز وجل. ثم إذا دخلتَ مسجده، تذكّر أنّه أوّلَ موضعٍ أُقيمت فيه فرائض الله، وأنّها تضمّنت أفضل خلق الله صلى الله عليه وسلم. أيّها المسلمون. إنّها مواقف تَفيض بالمشاعر الجيّاشة، والأحاسيس الصادقة المرهَفة. مواقف تُهيِّج الذكرى، وتزرع الأمل في نفوس البائسين اليائسين. يعيش الحاج متقلِّب بين هذه المعاني، وتلكم الأسرار، ترتقي روحه إلى أعلى مقامات القرب، المتمثِّلة في المغفرة المتحقَّقة، لمن حج البيت متحليًّا بشروط الإقبال، تاركًا وراءه كبرياءه وغرورَه، فإذا رجع الحاج رجع وقد ترسَّخت في قلبه تلك المعاني والقِيَم، فعاش بها بين أهله ومجتمعه، ناشرا لها، داعيا لها. والله ما المحروم حقّاً إلا مَن لم يذق روحانية الحج، ولذّة العجّ والثّج، وسار يتقلّب بين تلك المناسك بجسده، وقلبه يهيم دنياه وملذّات نفسه وشهواتها. نسأل الله لا يحرمنا خير ما عنده بسوء ما عندنا، وأن يرحم ضعفنا، ويتولّى أمرنا. اللهم أعن الحجّاج على أداء الواجب. ووفّقهم لنيل الرغائب. وارزقهم الأَوْبة الحميدة. والرحلة السعيدة .

هذي ضيوفُك يا إلهي تبتغي * عفوًا وترجو سابِغَ البركاتِ

وفدوا إلى أبواب جُودك خُشَّعًا * وتزاحموا في مهبط الرحماتِ

فاقْبِلْ إلهَ العرش كلَّ ضراعةٍ * وامحُ الذنوبَ وكفِّر الزّلاتِ

بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ